

(الإعلان بأحكام البنين) وابن الرامي

التشريعات والقوانين البنائية في المدينة العربية الإسلامية

نظرة تحليلية



طرقت العديد من الدراسات لنشأة وتطور المدينة العربية الإسلامية منذ عصر الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه، مروراً بالعصور الإسلامية المتعاقبة، الأموية فالعباسية، ثم في عصر الفتوحات الإسلامية.

بيد ان هذه الدراسات تجمع على وجود خيط من أوجه التشابه بين المدن العربية التي تمت في تلك الفترة، وهذا التشابه منبعه المحتوى والفكر الذي تأسست عليه المدينة العربية الإسلامية، وليس الفترات الناتجة المتشابهة

وليد السيد - جامعة لندن

انها تحيضية باتجاه الماضي حين تقلل من شأن هذه العناصر الثلاثة في الوقت الحاضر وإن اختلفت تسمياتها. ويبدو ان العكس هو الصحيح بين الحالتين: ففي حالة المدينة العربية التقليدية كانت هذه العوامل الثلاثة تقوم بدور (الترقيع) والمراقبة ما يستجد من مشكلات (عدم التخطيط المسبق) والنمو العشوائي العفوي، فيما تلعب هذه العوامل الثلاثة حالياً دوراً صراماً في منع المشكلات قبل حدوثها بتقنين نمو المدينة (والتخطيط المسبق لنموها). ويبدو انه قد ان الأوان لهذه الدراسات العاطفية والمتعاطفة مع الماضي ان تتكفي بوصف الماضي كنموذج (تاريخي) لا ترائي يمكن تبينه بمجمله ونقله عبر الحاضر ان تشكل هذه الاستعارات (المتعاطفة) خطراً يتسبب بتعميد الماضي لجعله ينبوع عن الحاضر علماً باختلاف المكان والزمان وتبدل الأحوال الفكرية والمعيشية والبيئية، أو ان هذه الدراسات تشكل قراءة ترائية للعصر وهي من أخطر القراءات التي

وفي حالة المدينة العربية الإسلامية، فقد أوردت الدراسات المختلفة ادواراً مختلفة لعوامل أثرت في تقنين الناتج الفيزيائي للمدينة، فمن هذه العوامل دور الحسبة والمحاسب، والقضاء والتشريعات المستمدة من الشريعة الإسلامية، وكذلك الاعراف الاجتماعية التي اسهمت بشكل كبير في تنافخ خبرات بنائية واجتماعية انعكست مباشرة في الناتج الفيزيائي للمدينة، بالإضافة الى انها شكلت نمطية معينة من السلوكيات الاجتماعية تبعاً لذلك. ويبدو ان هذه العوامل الثلاثة وغيرها حاضرة في كل زمان وإن تبدلت صفتها وشكلها ومسماها. وبسبب ان هذه العوامل القانونية والتشريعية تتحكم في النمو البنائي الفيزيائي للمدينة البنائية. وتحتهد الدراسات المختلفة في رفع صفة هذه العناصر الثلاثة وهيمنتها في التخطيط المسبق للمدينة، فيما تعقد مقارنات ايسم ما يمكن ان توصف بها

بغيرها محمد عابد الجابري. وفي اطار القواعد التي قعدت النمو في المدينة العربية الإسلامية وصيغت البيئة المبنية بطابعها الذي نراه ورد دور الحسبة والمحاسب في الإسلام، حيث تولى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذا الدور بنفسه حين كان يطوف بالمدينة مصححاً ما يجده من خلل، ثم نقلها - صلى الله عليه وسلم - الى عمر بن الخطاب بالمدينة وعمر بن العاص بمكة. ومع تطور الوظيفة انشأ ديوان الحسبة برئاسة عمر بن الخطاب كما يروي الماوردي في الاحكام السلطانية. ومع تطور النمو في المدن العربية الإسلامية واتساع رقعة الامبراطورية حتى جنوب الاندلس، تطورت مجموعة من الخبرات فيما يتعلق بقوانين البناء والمشكلات التي وردت بالقضاء، وكان القضاء يستندون بالإضافة الى العلم الشرعي في (فض النزاعات بين الجيران في مسائل البناء) - كما فتح ميزابه على باب جاره، الخ وهي مسائل تتم عن عفوية في النمو للمدينة، أو اقام حائظاً سد الرياح عن جاره، الخ - ببعض المتعسرين في خيرة البناء ومنهم ابن الرامي (توفي سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) الذي كان مشهوراً بخبرته الفذة في مسائل البناء والقوانين ومعلقاتها، والتي صنفها في كتابه (الإعلان بأحكام البنين)، فما هو مضمون هذا الكتاب، وما هو محتواه؟

فقد تراكت لابن الرامي (محمد ابن ابراهيم اللخمي) بمرور الزمن مجموعة من القضايا في النزاعات بين المخاصمين حول مسائل البناء جملة من الاحكام والفتاوى والاوراق العرفية التي غدت بمثابة القوانين البلدية، فقام بتصنيفها ضمن كتاب: الاول كتاب الابنية في الجدار، والثاني كتاب الضر، والثالث كتاب عيوب الدور، والرابع كتاب الغروس، والخامس كتاب الابنية.

اما كتاب الابنية في الجدار فيشتمل اساساً على مسائل في النزاعات بين الجيران المشتركين في جدار واحد نظراً للتلاصق المدينة ودورها، وذلك حين قسمته أو بنائه أو اعادة بنائه اذا انهدم أو استغله لحمل السقف عليه، ويبدو هذا الباب منسجماً ومجتاساً دون إسهاب أو استطراد. اما كتاب نفي الضر فيعتبر ابن الرامي فيه منسجماً فقهاً، ويلاحظ ان ابن الرامي قد ركز على مسائل الضر فيما يخص بالبناء والبنين. وفي كتابه الثالث عيوب الدور يسجل ابن الرامي مجموعة من التوازل أو الوقائع التي عاينها بنفسه، بالإضافة لما يورده من دقائق الخبرات البنائية في مسائل البناء من ناحية المضافة، ويتميز هذا الكتاب بذلك عن غيره من كتابات الفقه النظرية بأنه يربط الفقه النظري بنوازل واقعية اثبتتها في كتابه، اما كتاب الغروس فيبدو للوهلة الاولى بعيداً عن موضوع كتبه الثلاثة الاولى إذ ينفرد بالبحث في الحياة الريفية وما يتعلق بالنزاعات بين الملاكات، وبالنظر الى هذا الكتاب ضمن اطار شمولي تكاملي مع بقية الكتاب يمكن ايجاد العلاقة في الكتب الاربعة من منظور البنين الحضري والريفي أو كوقائع ونوازل ضمن منظومة اجتماعية واحدة يستفاد من مسائلهما ككل متكامل. وكذلك قد يبدو الكتاب الخامس وهو كتاب الابنية التي تقام على مجاري الانهار والابنية خارج التجمعات السكنية ليس ذو علاقة لصيقة بمضامين الكتب المقدمة، ويعيب هذا الكتاب وما سبق خلط ترتيب المسائل وتبعثر المفاهيم مما يعترف به ابن الرامي في مقدمة كتابه، إضافة الى



الخط العربي التصحييف والحرافية والمخطوطات الإسلامية



ايضا قراءتها (تثقيتوا) وهكذا، وقد ازدهرت الحروفية وصناعة الخط العربي ازدهارا كبيرا في العصورين الاموي والعباسي، بظهور العديد من الخطاطين المبدعين الذين طوروا الحروف وابدعوا في نسخ ورش لوحات وآيات بديعة من القرآن الكريم أو الحكم الانسانية. ومن هؤلاء الخطاطين الذين اشتهروا في هذا التطور، ابن مقلة وابن البواب، وياقوت المستعصمي، وهم من ابرز رواد الخط العربي في العصر العباسي. ولم تكن اسهاماتهم تقتصر على تصوير شكل الحرف فحسب، انما يعزى اليهم الفضل في وضع قواعد للخط العربي، وابتعاد النمذج السبعية الاساسية للخط: الرقعة والنسخ والديواني وجلي الديواني والثلث الفارسي والكوفي. ومن هذه النمذج السبعية اشتقت لاحقا انماط اخرى مثل الانواع العديدة للخط الكوفي في القرون والكوفي المغربي وغيرها.

تدل الوثائق والمخطوطات القديمة عن قدم نشأة الخط العربي الى الفترة التي تعود لقرون عديدة قبل ظهور الإسلام، ومنها ما تم العثور عليه في جنوب الجزيرة العربية واليمن بشكل خاص، كما ظهرت انماط اخرى متطورة للكتابة في المناطق الشمالية من الجزيرة العربية وبلاد الشام. بيد ان أولى النمذج من الخطوط العربية التقليدية اول ما ظهرت في سوريا حيث عثر على نقش بالحروف العربية في منطقة النمرارة يعود للعام ٣٢٨ ميلادية وتحتوي احرفا عربية مكتوبة بالاجدية النبطية، فيما يعتقد البعض ان اقدم النمذج للكتابة العربية التي تم العثور عليها تعود لسفرتة ما بين ٥١٢ - ٥٦٨ ميلادية وهي نقوش وجدت بالقرب من دمشق، ومكتوبة بثلاث لغات هي اليونانية والسيرانية والعربية.

وقد اختلف الخط والحروفية العربية كميته العديد من الخطاطين والخطاطات على مر العصور الإسلامية وظهرت مدارس متعددة لتدريس قواعد الخط العربي منها المدرسة البغدادية والتي ابرزت رواد الخط العربي في النصف الثاني من القرن العشرين مثل مصطفى راقم وهاشم البغدادي. اما المدرسة الاخرى فتمثلت في المدرسة التركية وبرز اعلامها حامد الأمدي. ويعتبر الخط العربي والحروفية ابرز ما ابدعته الحضارة العربية الإسلامية من فنون نظرية امتدت تأثيرها للعمارة ولكافة انواع التشكيل الفني كالزخرف والنسج والنحاسيات والاعمال المعدنية وضرب النقود والاعمال الخشبية. ولا يكاد يخلو بيت في العالم العربي من هذا الفن الإسلامي الجميل الذي يشكل لوحات فنية في غاية الاتقان إضافة للمعاني البديعة التي تتضمنها المخطوطات الفغنية من روائع الخط العربي الجميل الذي ينبغي ان نحترق به كقراءات اصيلة وأن يحظى الاقبال على تعلمه واتقائه باهمية اكبر على مستوى الدولة والأفراد.

ومع ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم باللغة العربية اكتسبت الكتابة والحروفية العربية اهمية خاصة ونشأت وترعرعت بشكل كبير. وفي بداية نزول القرآن الكريم كان العرب يعتمدون الحفظ والذاكرة بما عهد عنهم من قوة الذاكرة ولم تكن هناك حاجة للتدوين. الا ان الحاجة ظهرت لاحقا لحفظ نسخ من القرآن الكريم وتشكلت (كتيبة الوحي) في عصر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وهذه الكتابات كانت تدون كسور متفرقة وبخاصة ما كان منها ما يختص بالتشريع، ولم يتم جمعها في مصحف واحد الا متأخرا على عهد عثمان. وقد امتازت الحروفية العربية في بداية الامر بخلوها من التنقيط، اذ كانت عبارة عن حروف بسيطة التكوين تخلو من النقط بالشكل الذي نعرفه اليوم، ولم تظهر الحاجة للتنقيط الا زمن نصر بن عاصم، لظهور بعض الخطط في بعض الكلمات التي قد تغير المعنى أو المبني للكلمة كالحط الناتج بين كلمة (تثيبنوا) اذ يمكن

من مفردات التراث العربي الإسلامي:

المآذن ونشأتها في العمارة المسجدية في الإسلام (١)

احتواها الجامع الأموي الكبير بدمشق التي لا ترتفع كثيرا يمكن ان تشكل اولي المآذن التي عرفت في الإسلام حيث اطلق عليها ابن الفقيه هذه اللفظة في العام ٩٠٣ هجرية رغم انها كانت من المآذن ما قبل ظهور الإسلام حيث كانت ابراج مراقبة ايام اليونان القدماء. ويبدو ان تطور المآذنة في فترات الإسلام المتعاقبة قد تزايد وتسرار في مدن شمال إفريقيا مع تنامي الفتوحات الإسلامية وتوسع المدن العواصم ومدن الأمصار التي دخلها الإسلام، ويبدو ان مدينة القاهرة في زمن معاوية قد بدأت تشهد الصوامع التي امر ببنائها وكان ان تم ادخال السلم للصعود للمآذنة على زمن خالد بن يزيد. وفي هذا الإطار ضمن إفريقيا تلقي مزيداً من الضوء في اسبوع قادم بإذن الله ضمن هذه السلسلة التي تبحث موضوع المآذنة وعمارته في الإسلام، اصلها، ومنشؤها وتطورها.

وكلا البرجين استعمل لهما نفس اللفظة وهي صومعة. اما كلمة منارة والتي تعني اصلا الشيء الذي يصدر ضوءاً كما في منارة الاسكندرية الشهيرة تاريخياً وأحدى عجائب الدنيا السبع قديماً كما استعملت في اشعار العرب القديمة لمصاييح الانارة الزيتية وكذلك بيوت الفارعة القدماء وانتقلت الى المساجد لاحقاً. وتعتبر كلمة minaret الانجليزية تحويراً للاسم منارة باللغة العربية. اما عن منشأ هذا العنصر المعماري المتميز واستخداماته في العمارة العربية الإسلامية، فيبدو ان ظهور هذا العنصر كان متأخراً في الفترة الاموية ولم يسبق ظهوره في فترة ظهور الإسلام الأولى، حيث خلت المساجد الأولى من المآذن في عهد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حيث يروي ابن هشام ان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم للمدينة صلى دون النداء للصلاة أو الأذان والذي شرع وفصلت كفيته في رؤية رأها عبد الله بن زياد

